صدى الحرية

٭ أسبوعية ٭ ثورية ٭ اجتماعية ٭
٭ توعوية ٭ منوعة ٭

للتواصل وإرسال المشاركات:
Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية | العدد 88 | الجمعة 28 | شهر شباط | 2014

تجار الدم في قدسيا
ما وراء الضحك
أبجديات الثورة
المبرة السورية مزيد ..
خواطر حول معاهتنا
أنا بلا صفة..

تجار الدم في قدسيا

ملفات الفساد لا تكاد تنته ولا تقف عند حدودٍ معينة متجاوزةً كل الحدود الأخلاقية والقيم الإنسانية بل ضربت بعرض الحائط ما يحمله الإسلام من معانٍ ترسم معالم الطريق في ظروف كالتي نعيشها في سوريا اليوم، وبين الفينة والأخرى ندور حول هذا الملف ملمحين ومنتظرين التجاوب وتصحيح الأخطاء، لكن بلا نتيجة.

الغلاء يأتي في المرحلة الثانية بعد الخوف من هاجس الحرب في حديث الناس، ولعله في يومياتهم من أكثر ما يتم تداوله والتندر به.

لكن أحداً لم يقف حول أسبابه وأن أهمها هو وجود تجار الحروب والانتهازيين الذين تعاملوا بوقاحةٍ وخسة مع نظام القتل ليشتروا عرضاً زائلاً ويبنون ثروتهم فوق أشلاء أهلهم، متقاسمين تجارة الطحين والغاز والمحروقات وغيرها، لتختفي في مخازنهم الممتلئة ولتخرج وقت الأزمات وبأسعارهم التي يفرضونها مستغلين حاجة الناس.

المشكلة تتلخص بوجود أشخاصٍ لهم مصلحة في بقاء الحال كما هو عليه، والاستفادة منه قدر المستطاع، والواجب الشرعي والأخلاقي يحتم مواجهتهم عبر جهازٍ حقيقي يقمع وينهي تواجدهم، وفق حكم الشارع الإسلامي، وما لم نتكاتف لهذه المعركة الحقيقية ستكون النتائج على المجتمع كارثة بما تحمل الكلمة من معنى.

من المؤكد أن ما يحصل بلاءٌ عام في سوريا، لا ننكره، وليس نظام الأسد وحده من يقف وراءه، وما قبول الناس مرةً أخرى بإعادة يد الظلم على رقابهم إلا ولادةً جديدةً لطغاة جدد.

وبين خوفٍ وقلقٍ وترقب، يعيش الأهالي في مدينة قدسيا، المشاكل لا تنته بل تتعمق منذ سنوات ولا حلول أو تقدم يذكر على الصعيد الإنساني.

بدورنا نطالب بتشكيل لجنة تبت في شأن من احتكروا أقوات الناس، وتعمل على تسعير المواد بما يتناسب مع الوضع الراهن ويحقق العدل للجميع.

ونذكر بحديث النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من احتكر طعاما أربعين ليلة، فقد بريء من الله تعالى وبريء الله تعالى منه، وأيّما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمّة الله تعالى)).

يتزامن كل هذا مع ما يصيب المدينة بين الحين والآخر من تصرفات رعناء متهورة يقوم بها البعض، دون حسابٍ لتصرفاتهم الطائشة التي لا تنم عن مسؤولية، بل ولا تعبر عن موقف رجل الثورة الشريف, ما يدفعنا لتكرار القول بأننا بحاجة ملحة في هذا الوقت لبناء مؤسسة ثورية فعالة تحارب جميع هذه المظاهر حتى لا تتحول إلى ظاهرة ومع المستقبل تنتفي إمكانية وضع الحد لها، بالتالي لا تكون المحاسبة نفسها ناتجة عن عمل فردي شخصي آتٍ من اندفاع وغيرة على حدود الله.

إذا ما أضفنا أولئك الذين لم يتركوا شجرةً واقفةً على حالها ليس سعياً للدفء بل الاتجار.

ما تقدم ليس إلا بدايةً أولى على هذه الصفحات سوف تتلوها بإذن الله تعالى أحاديث وأعمال تجابه المفسد علناً بالاسم، فالثورة قامت لاستعادة كرامة الناس، وهنا يتحمل القائمون على لجنة المصالحة والبلدية وجميع من يسمون أنفسهم بالوجهاء هذه الحال المزرية التي وصلت إليها معيشة الناس.

من جانبٍ آخر، تتعرض بلدات وادي بردى لحملة شرسة من قبل قوات النظام، أسفرت عن انقطاع المياه عن مدينة دمشق وريفها بعد أن تعرضت خطوط توصيل المياه للضرر نتيجة القصف، الجدير ذكره هو ما حققه الثوار هناك من صمود وانتصار، أعاد للثورة مسارها، لما رضخ النظام واستجاب لشروط الثوار، وإن لم تكتمل حتى اللحظة، لكنها خطوة ومرحلة هامة لعل الأيام تزودنا بمزيد من النصر بعون الله تعالى.

أبجديات الثورة

إن لله تعالى قدراً هو بالغُه في كلِّ أمر، والعجيبُ أنَّ الناس يصبرون على ظُلْمِ نظامٍ فاسدٍ ما يزيد على أربعين سنة، ثم يريدون أن ينزعوه في أربعة أيام أو أربع سنين، إنَّ هذا النظام الذي مدَّ جذوره السَّرطانيَّة في نسيج كلِّ شيء من المجتمع لا يمكن لنا أن نتغلَّب عليه في سنة أو سنتين أو ثلاث، لكنَّ هذا لا يعني أن نسكت على ظلمه أو نرضخ للذلِّ أو أن نقعد عن حربه، يجب أن نخرج في وجهه، مطالبين بحقوقنا مدافعين عنها بكل ما أوتينا من عزيمة، كذلك لا ينبغي علينا أن نظنَّ بأنفسنا أنَّنا خير الصحابة حتى تنتصر دعوتنا في سنوات قليلة، هذا الكلام لا يبعث على التشاؤم، لكنه يبعث على العزيمة على الحق، والإصرار عليه.

إنَّ تأخُّرَ النَّصرِ كان عاملا قويا في كشف حقيقة الخراب في بنية المجتمع السوري المفككة، وهذا كان بفعل النظام الذي استطاع أن يزرع التفرقة بين أبناء المجتمع على نحو منهجي مدروس على أساس قاعدة (فَرِّقْ تَسُدْ) ذلك أنَّ رجلا مغمورا مثل حافظ الأسد في شبابه ما كان ليحكم سورية وهو ابن الأقلية الطائفية إلا من خلال التودد لبعض كبار ضباط السُّنَّة، ثم عَمَدَ إلى بثِّ الخلاف فيما بينهم من دون أن يُظْهِرَ نفسَه على أنه عدوٌّ مشتركٌ لهم جميعا، وهكذا كان يصطفي من أعدائه بعض الناس ثم يُوهِمُهُمْ أنهم من المقرَّبين إليه لينتقم بهم من إخوانهم، وشيئا فشيئا استطاع أن يقصي السنة عن القرار السيادي حتى صار هو صاحب الكلمة الأولى في كل شيء، ثم تفرَّغ من بعد ذلك لتفتيت بنية المجتمع السوري، بحيث أوهمَ السوريين بأنهم مراقبون حتى داخل بيوتهم، وما عبارة (اسْكُتْ يا زَلَمِهْ... الحيطان لها أذان) سوى دليل على خراب النفوس لدرجة أنَّ الشهامة والنخوة ماتت في النفوس مدة أربعين سنة.

بعد هذه السنوات الأربعين العجاف نحن نريد في سنوات قليلة أن نخلق شعباً متحاباً يؤثر على نفسه ولو كانت به خصاصة، بعد كل هذه السنوات الأربعين نريد في سنوات قليلة أن نزرع الشهامة في نفوس خربت وهرمت ونخر جذعها سوسُ الذلّ. إنَّ تحوُّل المجتمعات في مسيرتها الثورية لإصلاح المجتمع ينضبط بأمران:

أولاً: قيام ثورة على الديكتاتورية السياسية لأنها سبب الخراب الاجتماعي ثم الفساد المؤسساتي، أعني مؤسسات الدولة الحيوية التي تكون بها نهضة الأمة وهي (المؤسسات التعليمية والدينية والصحية والاقتصادية).

ثانياً: كلَّما تأخَّر بدء قيام الثَّورة طالَتْ مُدَّتُها الزمنيَّة، لأنَّ الديكتاتورية السياسية تكون قد تجذَّرت في ذهن الشعب لدرجة أن أجيالا تموت وأخرى تولد ويبقى الرئيس الفاسد المستبدّ حاكما للبلاد فإذا قضى الله أَجَلَهُ فأقبره، خَلَّفَ للأمَّة النائمة في الذلُّ وَلَدَهُ ليكون حاكماً من بعده وهكذا.

حين مات حافظ الأسد ظننت أن السوريين سوف يثورون على هذا الاستخفاف بإرادتهم، وتم تعيين بشار الأسد بكل بساطة والناس نيام، سوى صوت معترض من هنا، وصوت منفرد من هناك، عندها أدركتُ أنَّه كلما تأخرنا في الثورة على هذا النظام سنعاني أكثر للخلاص منه وسيطول أمد ثورتنا عليه، والآن أقول لكل إخواني في الجهاد وفي الثورة من الأحرار على اختلاف مشاربهم واختلاف توجهاتهم:

كلما تأخرتم في توحيد الصف سوف نتأخر في تحقيق النصر وسوف نمنح للقاتل فرصة ليعيد ترتيب أوراقه من جديد، هلمُّوا إلى وحدة الصف، إن الله ينصر رايةً واحدةً اجتمعَتْ على الحقّ، ولا ينصر ألفَ رايةٍ تفرَّقَتْ فيه وإنْ كانت على حقٍّ، أفلا تحبُّون ما أحبَّه الله؟! كونوا ذلك البنيان المرصوص، فليس هنالك شيءٌ أشدُّ على الحقِّ من التفرُّق فيه ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ .

خواطر حول متاهتنا في المشهد «السوري»

كثرة الكلام: كثرة الكلام عن الثورة والثوار وعن النصر والتضحيات.. ظاهرة تسري علينا نحن "العامة"، ويجب ضبط أنفسنا وضبطها، وإن عللناها بأننا أشد قلقا على بلدنا وشعبنا وثورتنا.. وأنفسنا.
أما من وصل إلى "كرسي" فالكرسي أصبح المتكلم، وهو ما يملي عليه -مهما كان شأنه وشأن كرسيه- أن يظهر بمظهر "العالم" بكل شيء..
وإن اقترن الكرسي بكسب مال، ازداد الحرص بلا حدود على الكلام بما يعلم المتكلم ولا يعلم.. وبما يجدي ولا يجدي.. وبما يجسد الصواب أو ما يحرقه بين أيدي الشهود حرقاً..
إلا من رحم ربي..
ألم يصبح الكلام لدى معظمنا بديلاً "رخيصاً" عن بذل الجهد و"العمل"؟..

كثرة الأجوبة: يقال إن الأسئلة المطروحة حول مسار الثورة الشعبية في سورية ومستقبلها أكثر من الأجوبة، وليس هذا صحيحاً، فما يصنع المتاهة حولنا هو كثرة الأجوبة على السؤال الواحد، حتى عند وضوح الجواب الوحيد الممكن وضوحاً كبيراً، ولكن غالبنا يميل إلى الأجوبة الارتجالية، المتسرعة، التعميمية، القاطعة، الانفرادية.
قد يختار بعضنا صيغة هادئة متوازنة.. وهي ضرورية إلا إن كانت من أجل تأكيد المتكلم أنه على صواب، فيبدو معتداً بنفسه وبأنه يعلم ما يقول.. وإن لم يجد من يأخذ بذلك، يعزوه إلى "عدم فهم" الآخرين له، وهو من هو في مكانته ومكانة قلمه.
ليس "السكوت" هو البديل.. بل "الكلام" كما ينبغي.

في المتاهة: أصبحنا نرى مسار الثورة "متاهة".. وقد اعتقلنا أنفسنا فيها... من منعطفاتها ما صُنع لنا.. ومنها ما صنعته أيدينا.
وجلّها.. من صنع أعيننا.. وألسنتنا.. وأقلامنا.
لا بد من الرؤية الواضحة.. من أجل قرار صائب.
لا بد من الانفصال الشعوري والفكري عما نحن فيه.. قدر المستطاع.
لا بد أن نرى موقعنا في مشهد الثورة، وما يتوافر من إمكانات الحركة الهادفة.
لا بد من متابعة الطريق على المسار الثوري الصحيح المشترك.
أما الدوران في المتاهة.. فضياع وانتحار.

لست وحدك: لا يحسبن أحد منا نفسه منفردا، يستطيع التمني.. والتفكير.. والتخطيط.. والتدبير.. والتنفيذ.. والتصحيح.. إلى أن يحقق التغيير، لا يعترض أحد آخر سبيله، ولا يطعنه أحد من خلفه، ولا يشده ,,عدوه'' بالمغريات لينحرف يميناً أو ''صديقه'' بالمرهبات لينحرف يساراً..
لهذا على أحدنا إن تمنى أن يختار الأماني ,,الواقعية''، وإن فكّر أن يرى كل ما حوله ويضعه في حساباته، وإن خطط أن يكون -ولو أحكم التخطيط- متأهبا لتعديل ما رأى وقرر مع المستجدات، وإن وجد على الطريق إغراء أو ترهيباً أن يتذكر أن الموت يأتي على غير انتظار، ثم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المشهد الأكبر: آن الأوان أن ندرك أن ما نسميه المشهد ,,السوري'' غير موجود إلا مجازاً.. فليس هو مشهداً قائماً بذاته منفصلا عن سواه..
هو قطعة فسيفسائية من مشهد شامل تاريخياً وجغرافياً.. يعبر الحدود القُطْرية دون استئذان، ويشمل الساحة الإقليمية، العربية والإسلامية والساحة العالمية..
يعبر الحدود إلينا، إلى ,,أعماق'' ثورتنا.. إلى أعماقنا أفردا وتجمعات وكيانات..
لن يكون لنا تأثير فاعل على المشهد الشامل لثورتنا وبلادنا ومستقبل شعوبنا، دون أن نخرج من حدود الرؤى الضيقة المتعددة، إلى رؤية المشهد الشامل، وأن نرتفع إلى مستوى أداء مهمة تاريخية كبرى، تتلاقى عليها جهود الأفراد والفئات والتنظيمات والاتجاهات، وتتجاوز من أجل أدائها ما أصبحنا نراه رأي العين من نواقص وثغرات وأنانيات ومشاغل جانبية.

ما وراء الضحك

التجربة الإنسانية التي يعيشها السوريون تجربة استثنائية ذات طابعٍ درامي/ مسرحي تتلاحم في فصوله التراجيديا بالملهاة، أدبيًا تسمى المشاهد عقب مأساة بالغة التوتر -على ما في هذه التسمية من مفارقة نقدية لا شعورية "بالترويح الكوميدي".

ولعل اصطباغ الأعمال الفنية بالطابع النقدي كما في سلسلة "مرايا" للفنان "ياسر العظمة" إيحاء بما يدور داخل المجتمع السوري من خلل سياسي واقتصادي واجتماعي، وإشارة لأن الناس حتى اليوم يحولون الألم إلى أملٍ بالبسمة الممزوجة بدمعةٍ تعبر عن إنسانيتهم في نهاية المطاف لخلق حالةٍ من التوازن وإتمام إيقاد " الشعلة"، تذكرنا بمسرحيات "نجيب الريحاني" في محاولته السخرية من الواقع، ولقد ساعدت بنية المجتمع السوري في هذا المجال.

"بقعة ضوء" شكّل مثالًا لذاك التلاحم، ففي المجتمع السوري ثمة دائمًا تقابل بين سمات حياتية يومية حتى قبل الثورة تتلخص بـ: الحرية/الجبرية، اللعب/الجد، الفوضى/النظام، العبث/المعقول، الموت/الحياة، الملهاة/المأساة... إلخ.

وليس من المستغرب أن يضحك السوريون، أو يقدموا للعالم نماذج فنية "ساخرة"، فالالتحام بين المأساة والملهاة تطور بعد الثورة حتى لا يكاد المرء يتبين أين هي الكوميديا وأين هي التراجيديا فيصل بذلك إلى سبر أغوار النفس البشرية، بما جلبت عليه هذه النفس من مفارقات وتناقضات، هي تناقضات الحياة ومفارقاتها... والتهكم بالواقع هو بداية عبور من أرض التراجيديا إلى أرض الكوميديا، ليس بقصد إثارة الضحك، فالضحك، هو نوع من المنطقة الفاصلة بين حالتي الإيمان واليأس، إننا نحافظ على سلامة عقولنا بالسخرية من هموم الحياة، ويتخذ الضحك طابعًا مرًا، حين يتعرض للجانب اللاعقلاني في مشكلتي الشر والموت.

إن الكوميديا لم تتغير بعد الثورة، فهي تهتم "بالانحرافات" التي تصدر عن حماقة، وتشغل نفسها بالأعمال التي تخرج عن السلوك الاجتماعي، في النهاية تتضمن بعضًا من النقد الاجتماعي العميق، بينما ظلت التراجيديا تعالج "الجريمة" على ما هو أعمق من هذا من أخلاقيات، فالكوميديا هي محاكاة لما نرتكبه في حياتنا من الأخطاء العادية. أي تلك الحماقات التي هي أقل بكثير من الجرائم، تلك التي تستحق نظرة الاستنكار، بالتالي نحن أمام الضحك الصادر عن تفكير.

والملمح الكوميدي في "ثورتنا" أن كثيرًا من المواقف التي يقوم بها الشخص "الشرير" تنقلب عليه، في مشهد قلب الأدوار رأسًا على عقب، موقفًا ينقلب على رأس مدبره، هنا ليس الحديث عن عملٍ فني مصور فحسب، بل إن ذاكرة الناس تعج بمثل ذلك.

وعند المقارنة بين الواقع الاجتماعي قبل وبعد الثورة يبقى ثابتًا على حاله فالنكات التي يصدرها الناس في أساسها نوع من " التطهير" كما يسميه "فرويد"، أو المتنفس للمكبوت من العواطف، وليست النكات على هذا النحو مجرد تسلية أو إثارة. كما إن استخدام النكتة يعتبر وسيلةً لفضح وكشف حالة معينة سياسية أو اجتماعية تحولت بالواقع إلى ظاهرة عامة أو تكاد.

فمتى بدأت الملهاة؟ في سوريا لا يمكن إلا أن نلحظ التداخل بين المأساة والملهاة، ذلك نتيجةً لشيوع حالة الخوف والقهر التي يعيشها الناس، لتبتدئ الملهاة من حيث تنتهي المأساة، وكما قيل: "موت إنسان مأساة، موت الملايين ملهاة إحصائية"، ذوبان الفرد إحصائيًا، يؤكد أن الموت الذي هو قمة المأساة الفردية ملهاة.

لكن، متى يذوب الفرد إحصائيًا؟ إن الإجابة تصورها الوثائق الرقمية التي تتحدث عن المشهد السوري وتتعامل مع الناس كأرقام بالتالي، عندما تختفي صفة الفرادة لتصبح حدثًا مستمرًا يذوب الفرد. وهكذا تكتمل المأساة.

يبدو أن إحصاء أعداد الشهداء يلهي عن الواحد، ومع طول المأساة فإن المليونية تذوب فيها مأساة الواحد.

ما وراء الضحك في سوريا يفسرها يوميات حياتهم ومقولة "هول والبر": (**الدنيا كوميديا لمن يفكر، تراجيديا لمن يحس**)، تدعم ما أقول.

الليرة السورية مزيد من الهبوط

في الوقت الذي يعيش النظام السوري حالة الغرق في وحل المؤامرة الكونية التي تتصدر ملابساتها في تصريحات مسؤوليه، وعناوين صحفه ووسائل إعلامه، تستمر قيمة الليرة السورية في الهبوط مقابل الدولار رسمياً أي وفق النشرة الصادرة عن مصرف سوريا المركزي، وهو ما يتزامن مع هبوطها في السوق السوداء بشكل أوتوماتيكي، يستمر مجلس الوزراء بالاستخفاف في عقول الناس، ويبرر ذلك بأن جهات ومنظمات مالية عالمية تسعى لزعزعة قيمة الليرة السورية واستقرارها.

حيث أكد رئيس مجلس الوزراء وائل الحلقي خلال إحدى جلسات مجلس الوزراء، وجود هجوم منظم داخلياً وخارجياً يستهدف سعر صرف الليرة، تقوده بعض مؤسسات الصرافة العالمية والمتلاعبون بسعر الصرف داخلياً، لافتاً إلى سعي الحكومة بكل الوسائل للعمل على إحباط هذه المحاولات التي تؤثر على سعر صرف الليرة السورية.

كما قال الحلقي "إن تلك محاولات فاشلة وستبقى الليرة السورية عنواناً لصمود الاقتصاد الوطني"، في إشارة منه إلى انتصار إجراءات الحكومة بالنهاية.

الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل يتبعه تأكيد صحيفة "الوطن" المرتبطة بالنظام ما جاء على لسان الحلقي، فاستحضرت مصدراً قضائياً لم تكشف عن اسمه والذي بين أن عدداً من شركات الصرافة تحاكم أمام القضاء اليوم بتهمة تلاعبها بقيمة الليرة، وهو ما أدى إلى ارتفاع سعرها مؤخراً.

في هذا الإطار يقول خبراء اقتصاديون أن النظام السوري مازال مصرّا على محاربة طواحين الهواء بالنسبة لقيمة الليرة وتدهورها، فهو يريد أن يقنع المواطنين بأن المؤامرة الكونية التي تحدث عنها منذ بدء الثورة السورية هي من تساهم بزعزعة الاقتصاد السوري وقيمة عملته، مشيراً إلى أنه لو كان رأي حكومة النظام صحيحاً، فلماذا يرتفع سعر الدولار الرسمي بشكل تدريجي منذ أكثر شهر، وهل من ترفعه هي جهات خارجية أيضاً تتلاعب في سعر العملات الرسميّة؟!

وبالتالي، فإنه حسب تصريح رئيس مجلس الوزراء، فإن المصرف المركزي هو أحد المتلاعبين بسعر الليرة ويجب محاسبته، لأن سعر الليرة مقابل الدولار يرتفع في نشرته مؤخراً بمعدل ليرة يومياً وهو ما يؤدي بشكل أو بآخر إلى ارتفاع سعر الدولار في السوق السوداء.

ولم يعد المواطنون يصدقون الادعاءات المتعلقة بشركات الصرافة ودورها في رفع أو خفض سعر الليرة، حسب ما أوضح المصدر، على اعتبار أن القاصي والداني بات يعلم بأن النظام هو من أطلق يدها في سوق الصرف وجعلها تتحكم بأسعار العملات تحت إشرافه، إلا أنه اعتاد أن يحمّلها المسؤولية عند فلتان سوق العملات الناجم عن التدهور الاقتصادي، وعاقب أصحابها بسجنهم لفترات قصيرة كمشهد تمثيلي أمام الرأي العام، ثم ما يلبث أن يطلق سراحهم ويسمح لهم بمزاولة عملهم والأمثلة كثيرة على ذلك.

يمكننا الخروج بنتيجة أن شركات الصرافة هي شريكة النظام في سرقة المواطنين، فلطالما سلّم أصحابها كميات الدولار التي كان يطرحها في السوق كنوع من التدخل في سعر الصرف، حيث كانت شركات الصرافة ترفض بيعها للمواطنين، وتشتري تلك الكميات لتعاود طرحها بأسعار مرتفعة في السوق السوداء على مرأى من النظام ومصرف سوريا المركزي اللذين يكتفيان عادةً بالتنديد بممارساتها.

يُذكر أن سعر الليرة رسميا مقابل الدولار وفق نشرة مصرف سوريا المركزي وصل إلى 200 ل.س كحد أدنى، و211 كحد أقصى خلال الأسابيع الماضية.

فإلى متى يضحك النظام على ذقون الناس؟، بينما يصفق البعض بعد أن وضعوا عُصابةً على عقولهم؟!!

أنا بلا صفة..
حتى استعيد كرامتي

دخل عناصر الأمن إلى منزله... كان ثمة هو وزوجته التي تجلس على الأريكةِ حاملةً طفلها الصغير... الأطفال الثلاثة كانوا مذعورين... اقترب أحد العناصر... لطمها على وجهها... واقتاده الثاني بعد أن قيد يديه بالحديد... في السيارة صاح به ((بدكن حرية؟!))...

في غرفة التحقيق، يسأله الضابط ((أنت محامٍ؟))...

رد بقوة: **أنا بلا صفةٍ حتى استعيد كرامتي**...

كرر عليه بحنقٍ نفس السؤال، وكرر إجابته...

صاح المحقق: أنت إرهابيٌّ خائن...

رد بجرأة: بل كنت مجرداً من حقوقي وإنسانيتي مقيدٌ بحديد نفاقكم والخوف منكم، واليوم أنا طليق.

انهال عليه بالضرب، وظل شهوراً في زنزانته، وفي لقاء المحقق الأخير، كان يتمتم برهان " أخي أنت حرٌّ بتلك القيود"... يعاودون تعذيبه... ويستشهد تحت ألم الضرب ذاك الجسد النحيل.

دون أن تدخل بيوت السوريين
محطة « تلاقي » تدخل غينس

ربما لم يسمع الكثير من السوريين، فضلاً عن العرب بقناة " تلاقي " التي دخلت موسوعة غينيس كأطول ساعات بث مباشر قامت به محطة، في محاولة منها لكسر أطول برنامج حواري في العالم، الذي وصل إليه مقدم برامج من النيبال، سنة 2013، وبلغت مدّته 62 ساعة.

المحطة قالت إنها حطمت الرقم القياسي، لكن بدون حضور مندوب عن الموسوعة، كي يوثق الموضوع، فاكتفت إدارة المحطة بطريقة من إخراجها وتأليفها، حيث سيتم ذلك من خلال 12 كاميرا مراقبة، تم تثبيت ستّة منها في الاستوديو لرصد حركات المذيعتين، والبقية سترصد المخرج في غرفة التحكم، بالإضافة إلى وجود 4 شهود سيتغيرون كل 4 ساعات، (يشترط أن لا يكونوا من الأقارب، أو زملاء العمل)، وخامسهم مراقب، سيوثق ما يحدث.

قد تكون المحطة دخلت إلى غينيس ولكن دون أن تستطيع أن تدخل إلى بيوت السوريين، ودون أن يكون لها برامج مميزة يمكن متابعتها، وهي التي أنشأها النظام كبديل عن محطاته التي ثبت فشلها، وكانت في نظر الكثير من السوريين مثاراً للسخرية والاستهزاء، نتيجة فبركة الأخبار بطريقة فجة ومفضوحة .

بثت المحطة السورية على الهواء مباشرة طوال سبعين ساعة، في بلد تغيب الكهرباء أياماً معدودات عن بعض أجزائه .. ولكم كم كانت نسبة المشاهدة من السوريين الذين لا يرون الكهرباء إلا ما ندر، فكيف سيتابع هؤلاء تلك القناة .

حطمت المحطة الرقم القياسي، حسب مسؤوليها، وسمعنا من خلاله أن هناك محطة تسمى " تلاقي " تلاقت مع الأرقام القياسية في غينيس دون أن تتلاقى مع الجمهور السوري الذي غادر تلك المحطات منذ زمن ليس بالقصير إلى غير رجعة !

هؤلاء هم العشاق

حين نظر في وجهها لمس حزن سنواتٍ بعيدة، متأخراً أدرك أنه طوال تلك السنين التي عاشا فيها قصة حبٍ لم يكن يشعر بها حقيقةً... فبينما غدت له ملهمةً وحبيبةً... فراشاً وحضناً... قصيدةً ولوحةً... ومعانٍ أخرى، كانت أنانيته تغلب عليه... نسي أنها " المرأة " الوطن قبل أي شيء وفوق كل شيء... الأمُ والزوجة... الفكرة والقيمة... أراد منها الكثير بلا مقابل، بلا أدنى شك لم يعرف إلا أن يأخذ، العطاء لم يكن صنعته، وليس من أولوياته... هكذا نشأ، وهكذا تعلم.!

الانفصال إذاً يصبح أحد الحلول الناجعة في علاقةٍ مشوبةٍ بالبرود في حقيقتها، فالعواطف ما هي إلا " كذبة " امتهنها وحسب، باع واشترى منها حتى أُثري.... لكن الطلاق فضيحة، والتفكير في الحل يحتاج لسرعة البت في الأمر، فقد تحولت " الحبيبة " إلى مجرد أطلال، وفي أحسن الأحوال صورةً في الذاكرة.

تذكرة السفر تعطيه شيئاً من الأمل، والرحيل أو الهجران يعطيه أيضاً دفعاً للاستمرار بالحياة وفي أقل تقدير يمكنه أن يستعيد شيئاً من مشاعره في غربتها عنه ويعاود صياغة الحروف لأجلها، وربما بلا خوفٍ من رقيب... الكل في زماننا اختار " الهجرة "..... لا بأس أن تسميه " هروب "، فهو جزءٌ من بقائك، حتى لو كان على حساب من تحب، لأنه في تلك الحالة لا يعني إلا موت الضعيف، وحياة الهارب بنفسه.

قليلٌ من روايات الحب التي يكتب لها النجاح والاستمرار في عالمٍ يموج بالمادية الصرفة، وأفكارٍ تبتعد بمعظمها عن الحالة الإنسانية الفطرية والروحية بأسمى معانيها، ليتحول فعل الحب إلى " كلام "، والتضحيةُ في هذا الباب مجرد أحاديث سمر، ما إن توضع على المحك في أحرج الظروف أو حتى أقلها حرجاً حتى تتكشف الحقيقة عن غير ذلك، وتسقط الأقنعة عن وجوهٍ هي " مسخٌ " في الواقع.

تحت هذه الظروف انفصل الكثيرون عن " الشام "، وآثروا الابتعاد، وتحولوا من المتحدث إلى المتفرج، وحدهم " الفاعلون " من بقوا " متفاعلين " حتى بلغوا درجةً من الرقي فكانوا الشهداء، في حالةٍ صوفيةٍ إن صح التعبير، إنه " الفناء" في من تحب، فلا انفصال ولا انعتاق، بل ارتباطٌ وضربٌ بالجذور إلى أبعد ما يمكن... هؤلاء هم العشاق.... هؤلاء هم الخالدون.

ليس لأنهم لم يهربوا من مسؤولياتهم اتجاه من أحبوا... ليس لأنهم مارسوا أفعالاً تثبت صدقهم... ليس، وليس...!!

حسبهم أنهم رحلوا إلى ترابها... حسبهم أنهم عرفوا كيف يسلكون الطريق المختصر إلى حضنها في لحظةٍ عشقيةٍ مشوبةٍ بالخوف والرعب...

في الشام كثيرٌ من العشاق فارقوا الدنيا.... لكن التاريخ لم ولن ينسَ الفرق بين من صبر ومن يأس... بين من عمل بحبٍ ومن تخاذل... لن ينس من امتلأ كيانه بالأمل ومن امتلأ صدره باليأس.

كل النساء يعرفن من أحبهن بصدق، يستشعرن بدفء مشاعرهم في لحظة عناق... أو في دقائق تلاعب فيها يدُ الرجولة خصلاتٍ من شعرٍ متراخٍ على الكتف...

دمشق أنثىً تفيض بهذه المعاني لعشاقها، ومهما غابت أو غُيِّبت فهي خالدة بمحبيها لأنها تحيا بداخل أفئدتهم، ولأنهم صانعوا تاريخها والمتشرفون بالنسب إليها أهلاً وحباً، بل عشقاً.

أما الخيانة لوطنٍ، سواء ممن "هربوا" بكل معنى الهروب للداخل أو الخارج، فلن يكون إلا لعنةً على صدور من تخلفوا عن الركب وساروا ولم يثوروا.

هؤلاء هم العشاق... إنهم من عرفوا وذاقوا من كؤوس الحب قبلاً، وانجذبوا اليوم في محنة "الشام" فأقبلوا وارتشفوا ما حسبه الآخرون مراً علقماً.